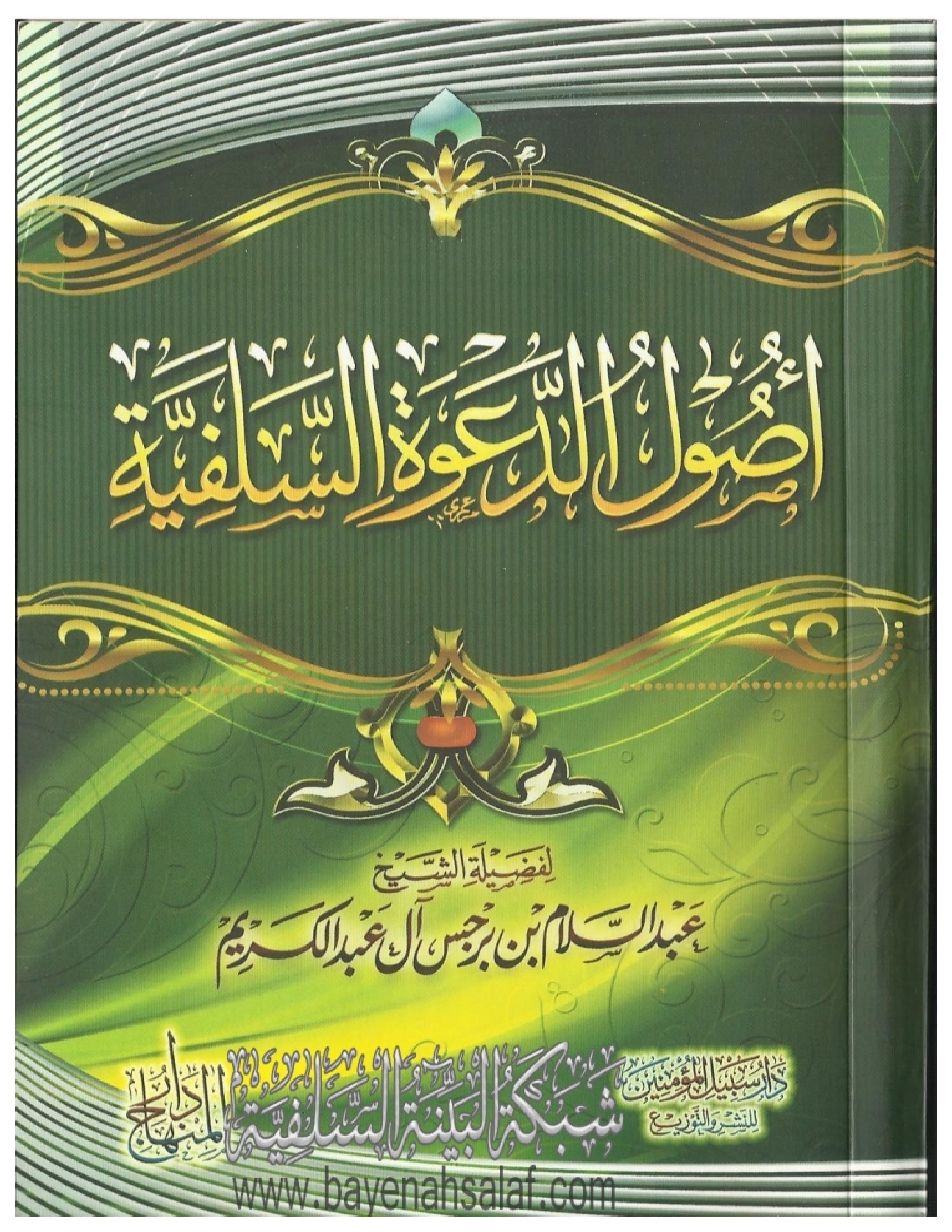

أصول الدعوة السلفية
لفضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم
دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع
شبكة البينة السلفية
دار المنهاج
www.bayenahsalaf.com

أُصُولُ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١٧٥٠٨



شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٨١ ٤٠ ٠١٢٨٨٨٨/٠٠٢ – ٧٨ ٤٠ ٠١٢٨٨٨٨/٠٠٢ – ١٣ ٤١ ٠١٢٨٨٨٨/٠٠٢
E-Mail : daralmenhaj@hotmail.com
daralminhaj@yahoo.com

دار سبيل المؤمنين

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٠٧٦١٠٠٩٩ – ٠٠٢٠١١٤٠٦١١٠٠٩٩
البريد الإلكتروني:
Dar_sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_sabilelmomnen@hotmail.com

أصول الدعوة السلفية

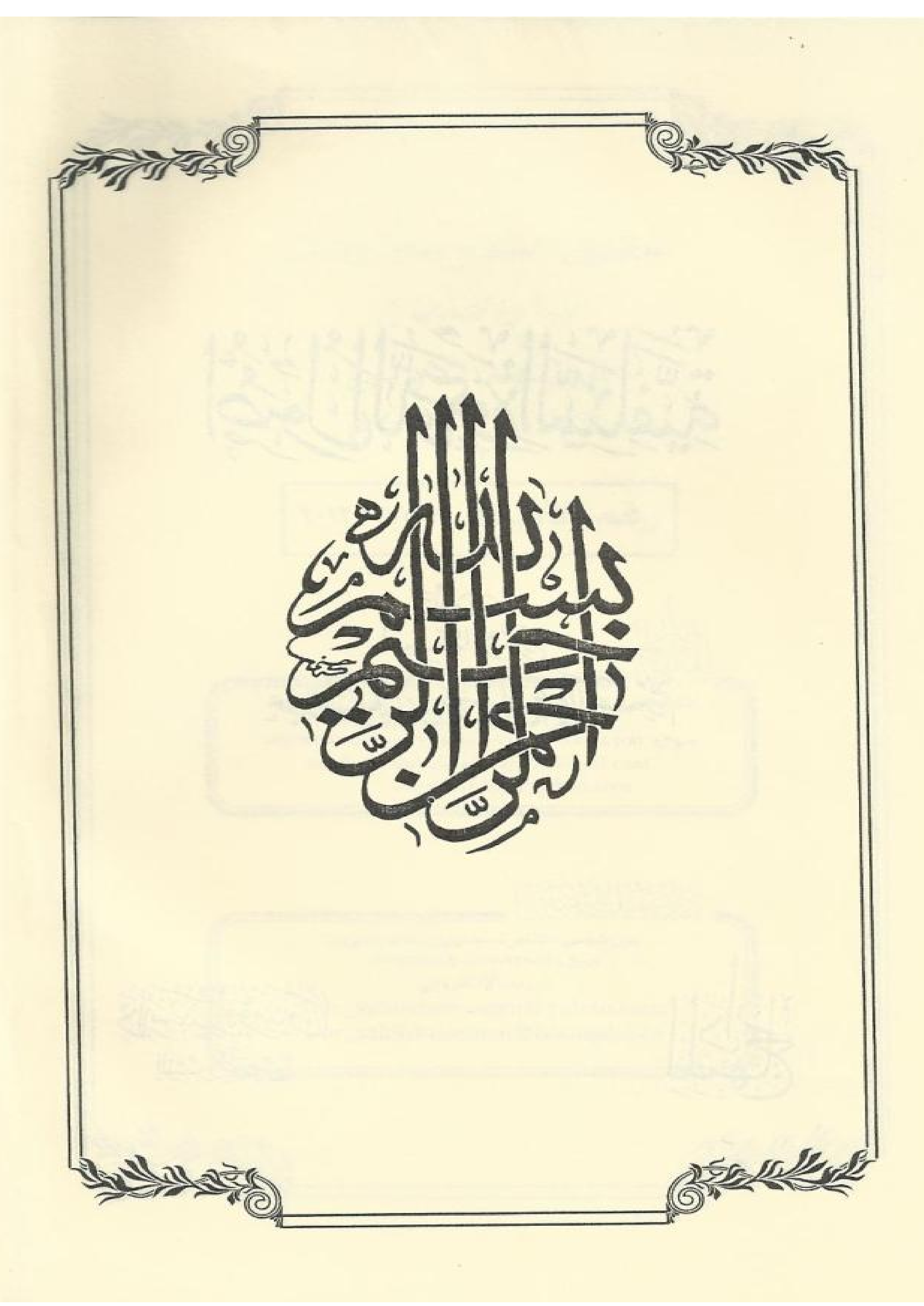
تأليف

فضيلة الشيخ

عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع

دار المنهاج


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إنَّ الحمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أنفُسِنا وَمِن سَيِّئَاتِ أعمالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فالأمة الإسلامية هي خير أمة أُخرجت للناس بشرط القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن النكر بعد تحقيق الإيمان بالله؛ قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

والدعوة إلىٰ الله من أعظم مهام هذه الأمة وأشرف أعمالها؛ قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وغايات الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أربع: العمل علىٰ إعلاء كلمة الله في الأرض، وأداء أمانة التبليغ والبيان، والسعي لإخراج الناس من جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام، وإقامة الحُجَّة علىٰ المخالفين والضَّالين والكافرين.

هذا، وثمرة الاشتغال بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في الدنيا: هي التمكين لدين الله في الأرض والعزة لأهله، وفي الآخرة: الفوز برضوان الله وجنته.

ويجب علىٰ الداعية أن يبدأ في دعوته بالأهم فالأهم.

وتوحيد الله هو قطب رحىٰ الدعوة؛ منه تبدأ، وإليه تنتهي، وكل عمل يجب ربطه به.

وقد قامت الدعوة إلىٰ الله -التي اصطلح علىٰ تسميتها بالدعوة السلفية -تمييزًا لها عن غيرها من الدعوات البدعية- علىٰ بعض الأصول، والتي باينت بها مَا عداها من الفرق الناكبة عن الصراط المستقيم.

وقد جمعها الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رَحِمَهُ اللهُ في هذه المحاضرة التي عملنا علىٰ تحويلها إلىٰ كتاب مقروء؛ ليعم الانتفاع به، والذي دعاه لجمعها – كما بيَّن- أمران ظاهران:

الأمر الأول: **ما رآه من تعلُّق بعض الجماعات الإسلامية الحزبية البعيدة عن منهج السلف بهذا الاسم الطاهر الشريف، يعني اسم (السلفية).**

الأمـر الثاني: ما قامت به هذه الجماعات أو بعضها من التعلق ببعض أهل السنة والجماعة لتحقيق هدف معين من أهدافها، لا يتوصل إليه إلا عن طريق هذا الشخص الذي

تعلقوا به، وهو في الحقيقة بريء كل البراءة من هذا التعلق.

ثم شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفصيل هذه الأصول التي أوصلها إلى عشرة، وهي:

الأصل الأول: الاهتمام والعناية بطلب العلم الشرعي و التفقه في الدين.

الأصل الثاني: الحرص علىٰ التطبيق العملي للإسلام.

الأصل الثالث: الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة.

الأصل الرابع: الاهتمام بعقيدة السلف علمًا وعملًا وتعليمًا.

الأصل الخامس: الاهتمام بالسنة النبوية، والحرص علىٰ العمل بها، والدعوة إلىٰ ذلك.

الأصل السادس: الارتباط الوثيق بعلماء السنة.

الأصل السابع: الابتعاد عن الحزبيات والجماعات الإسلامية السرية.

الأصل الثامن: التزامنا بما دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة في معاملة أئمتنا وحكامنا.

الأصل التاسع: منابذة أهل البدع والتحذير منهم.

الأصل العاشر: التزامنا بالكتاب والسنة في كل شؤوننا وأحوالنا.

ولأهمية هذه المحاضرة، ولما حَوَته من هذه الأصول المُهمة والحُجج القويَّة قمنا -بفضل الله تعالىٰ- بتفريغها وتحقيقها تحقيقًا علميًّا يليق بها وبمكانة الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لتخرج في هذه الصورة القشيبة.

واتبعنا في ذلك المنهج العلمي الآتي:

١- تفريغ المحاضرة تفريغًا جيدًا، ثم مقابلة المحاضرة علىٰ المكتوب؛ ومراجعتها مراجعة علمية ولغوية دقيقة جدًّا.

٢- تفريغ كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وإثباته كما هو بنصِّه، إلا ما تَعَارف عليه أهلُ العلم في التفريغ من حذف بعض الكلمات أو الجمل المُكررة، أو إعادة ترتيب لبعض الجمل، أو إضافة بعض الكلمات؛ لإيضاح المعنىٰ واستقامته، وهذا في الغالب قليل جدًّا.

٣- عمل ترجمة للشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- إثبات الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلىٰ مواضعها في المصحف الشريف.

٥- تخريج الأحاديث بمنهج موحَّد، وقد اعتمدنا في التخريجات علىٰ كتب الحديث ذات الترقيمات المعتمدة؛ كترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد اكتفينا بتخريج الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما بذكر رقمه، وإن كان في غيرهما أوردنا حُكم الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه غالبًا.

٥- تخريج الآثار من كتب التفاسير وكتب السنة، وعزو النقولات إلىٰ مصادرها من كتب أهل العلم.

٦- أثبتنا الأحاديث التي أوردها الشيخ أثناء التعليق بالمعنىٰ من كتب السُّنَّة بألفاظها؛ لتتضح الفائدة من ذِكرها.

٧- شرح الغريب من كتب الشروح المُعتمدة وكتب اللغة، مع إضافة بعض العناوين اللازمة؛ لإبراز ما بها من مسائل مهمة.

والله من وراء القصد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ الفاضل الفقيه، والعالم الأصوليُّ النَّبيه؛ أبو عبد الرَّحمن عبد السَّلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم.

مولده ونشأته وبداية طلبه للعلم:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام (١٣٨٧هـ)، بمدينة الرِّياض؛ عاصمة المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من كلِّ سوءٍ.

وَقَدْ نشأ في بيت ديانةٍ وصلاحٍ، وَتَميَّزَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ صغره بالذَّكاء والحَزْم، والجدِّ والاجتهاد؛ فحفظ القرآن، وبدأ يطلب

العلم وهو في الثَّالثة عشرة من عُمُره، فَلقِي من مشايخه العناية والاهتمام؛ لما لمسوه من فضيلته من علامات التَّميُّز والنُّبوغ.

فـ«اشتهر رَحِمَهُ اللَّهُ منذ حداثته بفطنته وذكائه، ورغبته الشَّديدة في طَلَب العلم وتحصيله، فتوفَّرت له البيئة الصَّالحة، والرَّغبة الشَّديدة في طلب العلم، فاجتهد في طلب العلم، وَجَدَّ فيه، وسهر اللَّيالي، وواصل الأيَّام، ومضىٰ في طريقه قُدُمًا لا يرغب في شيءٍ غير العلم، ولا يريد شيئًا غير تحصيل العلم، فلا يكاد الواصفون يصفون شدَّة حِرْصِهِ وإقباله علىٰ العلم والتَّعلُّم، وهكذا نال حظًّا وافرًا من العلوم الشَّرعيَّة»[1].

«وكان يواظب علىٰ دروس العلماء، وعلىٰ مَنْ يشعر أنَّه له منه أدنىٰ فائدةٍ؛ طارحًا التَّحيُّز والتَّرفُّع، وواصل وثابر، وبذل جهده في سبيل ذلك حتَّىٰ نال في صباه ما لا يناله غيره في زمنٍ طويلٍ من علومٍ كثيرةٍ، وفنونٍ مختلفةٍ، ولم يقتصر في طلبه للعلم علىٰ فنٍّ واحدٍ، بل قرأ في فنونٍ كثيرةٍ؛ فقرأ في الحديث والعقائد والفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللُّغة وغيرها»[2].

---

(١) «إتحاف النبلاء» للشيخ راشد الزهراني سدده الله (١/ ٤٥).

(٢) «إتحاف النبلاء» (١/ ٤٦، ٤٧).

وقَدْ ذكر بعضُ الإخوة مِمَّن عرف الشَّيخ عبد السَّلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنَّه كان يحفظ بعض المتون العلميَّة عن ظهرِ قلبٍ.

منها: «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«زاد المستقنع» للحجَّاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«القصيدة النونيَّة» لابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«الألفيَّة في النَّحو» لابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

دراسته النظامية:

تلقَّىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليمه بمدينة الرِّياض؛ فبعد المرحلة الابتدائيَّة الْتَحَق بالمعهد العلميِّ التَّابع لجامعة الإمام محمَّد ابن سعودٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ الْتَحَق بكليَّة الشَّريعة من نفس الجامعة، فتخرَّج فيها في عام (١٤١٠هـ).

ثمَّ الْتَحَق بالمعهد العالي للقضاء، وتحصَّل فيه علىٰ درجة الماجستير برسالة بعنوان: «التَّوثيق بالعقود في الفقه الإسلاميِّ».

ثمَّ تحصَّل علىٰ درجة الدكتوراه عام (١٤٢٢هـ)، وكانت رسالته عبارةً عن تحقيقٍ لكتاب: «الفوائد المنتخبات شرح أخصر المختصرات» للشَّيخ عثمان بن جامع (م ١٢٤٠هـ) بالاشتراك.

مشايخه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- سماحة الشَّيخ العلَّامة إمام أهل السُّنَّة والجماعة في زمانه عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (م ١٤٢٠هـ).

٢- الشَّيخ فقيه الزَّمان العلَّامة الأصوليُّ محمد بن صالح ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (م ١٤٢١هـ).

٣- فضيلة الشيخ العلامة المحدث أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- فضيلة الشَّيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرَّحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لازمه أربع سنواتٍ.

٥- الشَّيخ المحدِّث العلَّامة عبد الله الدويش رَحِمَهُ اللَّهُ (م ١٤٠٩هـ)؛ قرأ عليه في فترة الإجازات النِّظاميَّة في بريدة.

٦- فضيلة الشَّيخ العلامة الفقيه صالح بن عبد الله الأطرم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قرأ عليه في كلِّيَّة الشَّريعة.

٧- فضيلة الشَّيخ فهد الحمين - حفظه الله -؛ قرأ عليه في التَّوحيد والفقه.

٨- الشَّيخ الفقيه الأصوليُّ العلَّامة عبد الله بن عبد الرَّحمن ابن غديان رَحِمَهُ اللَّهُ؛ درس عليه في المعهد العالي للقضاء.

المناصب التي تقلدها:

١- عُيِّن مُدرِّسًا في المعهد العلميِّ بالقويعيَّة (١٧٠ كم غرب الرِّياض)، وهذا بعد تَخرُّجه في كلِّيَّة الشَّريعة عام (١٤١٠هـ).

٢- عُيِّن قاضيًا بوزارة العدل، ولكنَّه طلب الإعفاء.

٣- ثمَّ رشِّح في ديوان المظالم بمدينة جُدَّة، فلم يمكث فيه إلَّا أسبوعًا واحدًا، فتركه رغبةً في السَّلامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- ثمَّ عاد مُحاضرًا في المعهد العالي للقضاء بالرِّياض.

٥- ثمَّ عُيِّن أستاذًا مساعدًا بعد نَيْله لدرجة الدكتوراه، ولم يزل في منصبه حتَّىٰ وافته المَنيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جعل اللهُ كلَّ ما قدَّمه في ميزان حسناتِهِ يوم القيامة.

من مؤلفاته:

١- «الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية».

٢- «معاملة الحكام في ضوء الكتاب السنة».

٣- «منهاج أهل الحق والاتباع».

٤- «الأحاديث النَّبويَّة في ذمِّ العنصريَّة الجاهليَّة»، ط. بتقديم معالي الشَّيخ د/ صالح الفوزان.

٥- «الإعلام ببعض أحكام السَّلام»، ط. في كُتيِّبٍ لطيفٍ.

٦- «الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتَّحذير من مفارقتهم».

٧- «إيقاف النَّبيل علىٰ حكم التَّمثيل».

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تُوفِّي الشَّيخ عبد السَّلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ مساء يوم الجمعة (١٢ صفر ١٤٢٥هـ)، وهذا في حادث سَيَّارةٍ إثر ارتطامه بأحد الجِمَال السَّائمة في طريق عودته إلىٰ الرِّياض قادمًا إليها من الإحساء، فرحمه الله رحمةً واسعةً.

وكان عُمُره حين وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٨) عامًا[١].

موقع الشيخ:

www.burjes.com

---

(١) هذه الترجمة مستلة من «نزهة الأنفس في سيرة الشيخ عبد السلام بن برجس» إعداد/ فريد المرادي.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَمِن سَيِّئَاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أمَّا بعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فقد قامت الدعوة السلفية علىٰ بعض الأصول، والتي باينت بها مَا عداها من الفرق الناكبة عن الصراط المستقيم، **ولقد دعاني لجمعها أمران ظاهران:**

الأمر الأول: ما رأيته ورآه غيري من تعلُّق بعض الجماعات الإسلامية الحزبية البعيدة عن منهج السلف بهذا الاسم الطاهر الشريف، أو ما أدىٰ إلىٰ معناه من الانتساب إلىٰ السلف الصالح رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين، الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«خيرُ النَّاس قَرْني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فأخذت هذه الجماعات الحزبية تُصدر كتبها ورسائلها باسم السلف وأهل السُّنَّة، وهم بهذا العمل يدسُّون السُّمَّ في العسل، ويختفون وراء هذا اللقب للتلبيس والتضليل، وكم - والله- في هذه الكتب والرسائل من مُباينةٍ للمنهج السلفي، ونصرةٍ لمذهب الخُلوف والفرق الضالة؛ كالخوارج والمعتزلة والصوفية.

الأمـر الثانـي: ما قامت به هذه الجماعات أو بعضها من التعلق ببعض أهل السُّنَّة والجماعة لتحقيق هدف معين، إنما يُوصل إليه عن طريق هذا الشخص الذي تعلقوا به، وهو في الحقيقة بريء كل البراءة من هذا التعلق، ولكي يكون الكلام واضحًا فإنني أقول: إن جماعة الإخوان المسلمين دندنوا حول جهود الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يسمونه بالحاكمية، فأبرزوا جهود هذا الإمام في هذه القضايا؛ لظنهم أن ما في كلامه يؤيد باطلهم الذي انطووا عليه من تكفير الدولة، ومن ثَمَّ جواز الخروج عليها، وكـذَبوا عليه وافتروا والله، فموقفه من الدولة واضح لا غُبار عليه.

وقد تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلام حَسَنٍ بديع في رسالة اسمها:

«نصيحة مهمة في ثلاث قضايا»، وذكر موقفه من ولاة الأمر، وصرَّح بوجوب طاعتهم في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا الكلام الذي سطَّره الشيخ في تلك الرسالة وأمثاله- هو من صلب موضوع جهود الشيخ في الحاكمية، لكن القوم كالذين وضعوا أصبعهم علىٰ آية التوراة التي جاءت في الزُّناة مبينةً وجوب رجمهم لإخفائها وكتمها[1]؛ نسأل الله تعالىٰ السلامة والمعافاة.

علىٰ أن مصطلح الحاكمية عليه مآخذ، وقد نَقَدَه غيرُ واحدٍ من الكُتَّاب والمفكرين، وقال عنه الدكتور محمد عمارة: «إنه شعار دخيل علىٰ تراثنا القديم واجتهادنا الحديث».

---

(١) أخرج البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: إن اليهود جاؤوا إلىٰ رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبتم؛ إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده علىٰ آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِمَا، فرأيت الرجل يحني علىٰ المرأة يقيها الحجارة».

وذهب بعض الكُتَّاب كـ(محمد سعيد العشماوي، وأحمد كمال، وحافظ دياب) إلىٰ أن هذا الشعار هو نفس شعار الخوارج الذي رفعوه أيام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو: «لا حكم إلا لله».

أعود فأقول: لما رأيت هذا العمل المُشين من هذه الجماعات أثَّر علىٰ بعض شبابنا، وخدعهم بمثل هذه الشعارات- أحببت أن أذكر أصولًا للدعوة السلفية، بها يتميز أهلُ الحق من غيرهم، يتميز السلفي حقًّا من المُدَّعي الكاذب.

فإن فِئَامًا من الناس امتطوا السلفية وهي منهم براء؛ فالأشاعرة يزعمون أنهم من أهل السُّنَّة والجماعة وكذبوا، والإخوان المسلمون يزعمون أنهم من أهل السُّنَّة والجماعة، وبَوْنٌ كبير بين أهل السُّنَّة والجماعة، وبين منهجهم وما يسيرون عليه.

وهذه الأصول التي سوف أذكرها مُتَّفَقٌ عليها بين دعاة المنهج السلفي قديمًا وحديثًا.

وقبل أن أذكر هذه الأصول وأبينها بيانًا شافيًا كافيًا - إن شاء الله- أقول: إن السلفية التي ندعو إليها ليست

كالجماعات الإسلامية الحزبية الموجودة الآن، إذ إن السلفية هي جماعة المسلمين، فكل من اعتقد العقيدة السلفية والتزمها في واقعه فهو السلفي، لا نُفرق بين أحدٍ و أحدٍ، وليس لنا ارتباط بغير وُلاة أمرنا من حكام وعلماء، ونحن لا نُخفي شيئًا مما عندنا، بل ما نحن عليه مُدَّون في الكتب، مسموع في الأشرطة، فلا سريَّةَ ولا تنظيم سوىٰ تنظيم ولي الأمر.

ونرىٰ الارتباط بعلماء السلف أمرًا ضروريًا، ويمثلهم في القرون المتأخرة أئمة الدعوة النجدية -رحمة الله تبارك وتعالىٰ عليهم أجمعين- ومَنْ تأثر بهم في وقتهم ومن بعدهم.

ونأخذ الآن عن علمائنا المعروفين بالسُّنَّة الذين لم يتلطخوا بأوضار البدع[1]، ولم يتلبَّسوا بشيء من الهوىٰ، وهم كُثر -ولله الحمد والمنة- منهم:

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني.

---

(١) خباثثها ومفاسدها وقبائحها.

الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان.

الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم.

الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.

وغيرهم من إخوانهم العلماء مِمَّن سار علىٰ شاكلتهم.

ونحن لا نعتقدُ فيهم العصمة، بل هم بشرٌ يجري عليهم ما يَجري علىٰ سائر البشر من الخطأ والنسيان.

ونحن نعتني بالعلم، ونَشغل أنفسنا بطلبه من هؤلاء العلماء وغيرهم ممن كان علىٰ شاكلتهم.

ونقرأ -بحمد الله- كتب الحديث؛ كالأمهات الست، وشروحها المعروفة، وكتب التفسير؛ كابن جرير، والبغوي، وابن كثير، وابن سعدي.

ونقرأ كتب العقائد السلفية؛ ككتب السُّنَّة عمومًا، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والتوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونقرأ سائر كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا، ونقرأ أيضًا سائر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ونُعنىٰ بكتب أئمة الدعوة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلىٰ يومنا هذا.

وعلماء الدعوة الآن هم مَنْ أشرت إليهم قبل قليل.

ونقرأ كتب الفقه، فنَحثُّ علىٰ حفظ «الزاد»[1] علىٰ شرط أن يعرف الدليل وأن يتبع، ولا نعيب مَنْ حفظ متنًا فقهيًا علىٰ شرط أن ينظر في أدلته، ونحن نبغض التعصب وننبذه نبذًا كاملًا.

ونعتني بالنحو والصرف، وننظر في كتب الأدب والشعر.

وندعو الناس إلىٰ إصلاح أنفسهم بإصلاح عقائدهم وأخلاقهم، وبالاجتهاد في العبادة.

ونحث علىٰ تطبيق السنن، ونشجع علىٰ إحيائها.

ونعتقد أنَّ مَن سعىٰ إلىٰ إيجاد سلفية حزبية علىٰ نمط

---

(١) أي: «زاد المستقنع مختصر المقنع» للحجاوي.

الجماعات الحزبية الموجودة فقد أخطأ، وأننا منه براء.

فهذا جملة ما نحن عليه، نسأل الله تعالىٰ أن يُسددنا، وأن يُؤيِّدنا، وأن ينفعنا، وأن ينفع بنا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهذا هو تفصيل أصولنا أو تفصيل بعضها.

☆☆☆

الأصل الأول

الاهتمام والعناية بطلب العلم الشرعي والتفقه في الدين

في حين أن كثيرًا من الجماعات الإسلامية اليوم مُنفلتة عن العلم الشرعي، وفي حين أن كثيرًا من أتباع تلك الجماعات مُنفلتون عن العلم الشرعي - فإن الدعوة السلفية تُولي طلبَ العلم الشرعي أهميةً كبيرةً، إذ هو الركيزة والأساس المتين الذي تقوم عليه الحياة؛ فبناء الفرد وبناء المجتمع لا يقومان ولا يَصلحان إلا بالعلم الشرعي، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالعلم قبل القول والعمل؛ فقال عز وجل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [محمد:١٩].

ونحن إنما جعلنا العلم بداية الأصول؛ لأن السُّبل كثيرة، وكلها سُبل متاهات إلا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما قال الله جل جلاله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ولا سبيل إلىٰ سلوك سبيل السُّنَّة إلا بالعلم الذي يكشف الحقائق وينير الطريق، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِي﴾ أي: قل يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]؛ فقوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي: علىٰ برهان وحجة، وهما العلم النافع.

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الناس إلىٰ تعلُّم العلم أحوج منهم إلىٰ الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلىٰ الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلىٰ العلم بعدد أنفاسه»(١).

ومما ينبغي أن يُعلم أن طلب العلم قسمان:

- فرضٌ علىٰ كل أحد.

- فرضُ كفاية.

أما الأول؛ فهو الذي يقول فيه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في الأصول الثلاثة:** «اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلُّم أربع مسائل، **الأولىٰ**: العلم، وهو

(١) انظر «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٤٧٠)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.

معرفة الله ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة»[(١)].

وقد بيَّن الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ما يجب علىٰ المسلم أن يتعلَّمه؛ فقال: «يجب أن يَطلب من العلم ما يقوم به دينُه؛ قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يَسَعُه جهلُه؛ صلاته، وصيامه... ونحو ذلك»[(٢)].

فالذي يجبُ علىٰ الإنسان أن يعمل به؛ كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المُحرَّمات، وما يُباح، أو ما يَحتاج إليه في المعاملات، ونحو ذلك- يجب أن يكون الإنسان عالمًا به.

وسؤال أهل العلم من العلم؛ فمن سأل أهل العلم فقد استنار لدينه، وفَعَل ما يجب عليه؛ يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣، ٤٤]؛ فهذا هو طلب العلم الذي هو فريضة علىٰ كل أحد.

---

(١) «الأصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربع» (ص ٣)، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

(٢) انظر «المبدع شرح المقنع» لابن مفلح (٣/ ٢٣٣)، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

وأما الثاني: وهو فرض الكفاية من العلم فهو ما دون ذلك، والاشتغال به أفضل من الاشتغال بقُربات نوافل العبادات علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم، كما ورد عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «تَعَلُّم العلم وتعليمه أفضلُ من الجهاد وغيره مما يُتطوع به»(١).

ونحن قد أدركنا بعضَ كبار السن ببلدنا هذا من العامة يَحفظون بعض متون العقيدة؛ كالأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، والتوحيد، ويحفظون آداب المشي إلىٰ الصلاة، وكل هذا من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن بركاتها.

وقد قرَّر الإمامُ سعود بن عبد العزيز الأول، والإمام فيصل بن تركي دراسة هذه الكتب علىٰ جميع المساجد بالدولة السعودية، فحفظها -ولله الحمد- الكبارُ والصغارُ، العامة وطلبة العلم، كما يعرف ذلك كثيرٌ ممن اعتنىٰ بهذه

---

(١) انظر «الفروع ومعه تصحيح الفروع للمرداوي»، لابن مفلح، (٢/ ٣٣٩)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

الأخبار، وكثير من كبار السن الموجودين الآن، وهذا هو السر الوحيد في بقاء هذه البلاد نقيةً من أدران البدع، فلو لم يكن العامة علىٰ علم بعقيدتهم؛ لفشا فيهم شيءٌ من البدع والشركيات؛ ولكن العلم حصنٌ حصين، ودِرْع متين، من تحصَّن فيه وُقِي شرًّا كثيرًا.

والطريقة التي يُنال بها العلم يَصعب أن نُحدِّدَها بحيث إن كل شخص يكون مُلزمًا باتباعها، ولكن أحسن الطرق في نظرنا هي ما كان عليه علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين.

وفي هذا يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «فتاويه»: «وتعيين ما يشتغل به -أي: الطالب- من الكتب يختلف باختلاف الأحوال والبلدان، والحالة التقريبية في نظرنا هذا: أن يجتهد طالب العلم في حفظ مقررات الفن الذي يشتغل به، فإن تعذَّر أو قصر عليه حفظه لفظًا، فليُكرره كثيرًا حتىٰ ترسخ معانيه في قلبه، ثم تكون باقي كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذي أدركه وعرفه؛ فلو حفظ الطالب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام، و«الثلاثة الأصول»، و«كتاب التوحيد» للشيخ محمد، وفي الفقه مختصر

الدليل، يعني: «دليل الطالب»، ومختصر المقنع، يعني: «الزاد»، وفي الحديث «بلوغ المرام»، وفي النحو «الآجرومية»، واجتهد في فهم هذه المتون، وراجع عليها ما تيسَّر من شروحها، أو كتب فنها؛ فإنها كالشرح لها؛ لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول صار له مَلَكة تامَّة في معرفتها، وهانت عليه كتب الفن كلها؛ الصغار والكبار، ومَنْ ضيَّع الأصول حُرِم الوصول؛ فمن حرص على هذه العلوم النافعة واستعان بالله أعانه وبارك له في علمه، ومن سلك في طلبه للعلم غير الطريقة النافعة فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلا العناء، كما هو معروف بالتجربة والمشاهدة...». انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

☆☆☆

الأصل الثاني

الحرص على التطبيق العملي للإسلام

هذا الحرص يشمل الحرص علىٰ العمل بالواجبات الشرعية؛ كالصلوات الخمس، وبر الوالدين، ونحو ذلك، كما يشمل أيضًا الحرص علىٰ العمل بالسُّنَّة وإحيائها بين الناس ما استطاع المسلمُ إلىٰ ذلك سبيلًا؛ كالنوافل، والوتر، وقيام الليل، وقيام التطوع، والإنفاق ونحوه أيضًا يَحرص علىٰ القيام به.

يقول أبو عبد الرحمن عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدَّثونا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن -يعني: الصحابة- أنهم كانوا يستقرؤون من رسول الله ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عشر آياتٍ لم يُخلِّفُوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا»[١].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٠)، مؤسسة الرسالة، الطبعة =

فهذا هو منهج السلف -رحمة الله عليهم أجمعين- يقرنون العلم بالعمل؛ لأن العمل بالعلم يُخلِّص من الوعيد الشديد المُترتب علىٰ ترك العمل الواجب في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣]، ولأن العمل بالعلم فيه انتكاس عن الصفة الممقوتة التي وصف الله بها اليهود في قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

وفي العمل بالعلم الوصول إلىٰ الغاية المنشودة بطلب العلم، ولذلك قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لا يزال العالمُ جاهلًا بما عَلِم حتىٰ يعمل به؛ فإذا عمل به كان عالمًا»(١).

فالدعوة السلفية تُعنىٰ بهذا الأصل وترعاه، وتحث الناس

=

الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد شاكر.

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (ص ٣٧)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

علىٰ الانشغال به؛ فإن الانشغال بالعمل أنفع من الانشغال بما لا فائدة فيه من كلام مباح، ونحو ذلك.

فلو أن شبابنا -وفَّقهم الله تعالىٰ- قاموا بهذا الأصل حقَّ القيام لسلموا من الوقوع في كثير من الأمور التي ليست من خصائصهم، والتي الاشتغال بها مَضيعة للوقت؛ كالاشتغال بتتبع السياسات، وكالدعوة إلىٰ التفكر فيها إلىٰ جميع الناس ونحو ذلك.

فهذه الأمور وأمثالها ليست إلىٰ طالب العلم، وإنما هي من اختصاص وُلاة الأمر، أو مَنْ يُنيبونه، ولما اقتحمها فئامٌ من الشباب ونزَّلوا أنفسهم منزلة ولي الأمر فيها- كان جهلهم، وظهر انحرافُهم، وخرج بَلَدهُم في هذه القضايا؛ لأنهم إنما يعتمدون علىٰ قُصاصات الجرائد الأجنبية والإذاعات الكافرة؛ فيثقون بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويَبنون أحكامهم عليها؛ كما هو الواقع في حرب الخليج؛ فإن بعضهم اعتمد علىٰ مثل هذه القصاصات، وعلىٰ مثل هذه الإذاعات؛ فنكبوا المسلمين، وأدخلوا في قلوبهم الرعب، وفرَّقوا شملهم، ومزَّقوا كلمتهم التي كانت مُجتمعة.

وهذا الاعتماد على القصاصات وعلى الإذاعات الأجنبية هو غاية ما عندهم مما يسمونه بـ(أصول فقه الواقع).

ولما خرج علينا هذا التيار الجديد جَنَا على العلم والعمل.

ولذا فإن الضعف في العلم والعمل يبدو جليًّا في شباب الأمة، فأنت ترى شباب فقه الواقع لا يَلتزمون أحكام الشرع في كثير من القضايا العظيمة.

فالواجب على شبابنا أن يتقوا الله تعالى في أنفسهم، وأن يَشغلوا أنفسهم بما يعود عليهم بالفائدة العظيمة في الدين والدنيا.

أما الاشتغال بما لا فائدة فيه، وإقحام الإنسان نفسه فيما ليس من اختصاصه- فهذا وباله كبير، ويُفوت على الإنسان من الأجر والخير الشيء الكثير.

فعلى الشباب أن يتقوا الله تعالى في أنفسهم، وأن يَعملوا بما عَلِموا من العلم حتى يفوزوا دينًا ودنيا.

☆☆☆

الأصل الثالث

الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة

إذا منَّ الله سبحانه وتعالى على المسلم بالعلم والعمل، فعليه أن يُبادر إلى إيصال هذا الخير للناس عن طريق دعوتهم ونُصحهم وإرشادهم.

فإن هذا هو عمل الأنبياء عليهم السلام؛ يقول الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

والله سبحانه وتعالى رفع منزلة الداعي إليه على غيره؛ فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

أما عن ثوابه وأجره فهو عظيم لعظم عمله؛ فإن الداعية إلى الله سبحانه وتعالى له مِثل أجر مَن تَبِعَه في الخير مَنْ غير أن ينقص من أجورهم شيئًا[١].

---

(١) أخرج مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من =

وقد جاء في حديث عليٍّ ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لأن يَهدي اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم**[(١)]»[(٢)].

ومما ينبغي أن يُعلم هنا أنه لا يُشترط لمن يكون داعيًا إلىٰ الله ﷿ أن يُلِمَّ بجميع الأحكام الشرعية، ولكن الواجب عليه أن يكون عالمًا بما يدعو إليه (أي: القضية التي يُبلغها إلىٰ الناس يجب عليه أن يكون عالمًا بها العلم الشرعي)، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيةً**»[(٣)].

فإذا عرف المسلم آيةً وفهم معناها عن طريق العلماء والمفسرين، أو عرف حديثًا كذلك من أحاديث رسولنا ﷺ، أو عَلِم حكمًا من الأحكام الشرعية كذلك عن طريق العلماء، أو عن طريق مؤلفات أهل العلم- بلَّغه لغيره من الناس، ولو لم يكن عالمًا بغير ذلك الحُكم أو الحديث أو الآية.

=

أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

(١) حمر النعم: الإبل الحمراء، وكانت أنفس الأموال عند العرب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو ﵄.

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته لـ«كتاب التوحيد»: «ولا بد للدعوة إلىٰ الله من شرطين: أن تكون خالصةً لوجه الله، وأن تكون وَفْق سُنَّة رسول الله ﷺ، وأن يكون الداعي عارفًا بما يدعو إليه؛ فإن أخلَّ بالأول كان مُشركًا، وإن أخلَّ بالثاني كان مُبتدعًا...».

انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وانطلاقًا من الشرط الثاني الذي ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قلنا: إنَّ وسائل الدعوة إلىٰ الله توقيفية؛ لا يُستحدث فيها شيء لم يكن عليه رسول الله ﷺ، ولذلك اشتد نكير السلف علىٰ أهل السماع، (الذي كان يفعله الصوفية)، ولو كان هذا السماع مُجردًا عن الآلات المحرمة؛ كآلات اللهو ونحوها، ولو كان هذا السماع نافعًا لتليين القلوب؛ لأنه لم يأتِ له شاهدٌ في الكتاب، ولا في السُّنَّة، ولا في فعل سلف الأمة رضي الله تعالىٰ عنهم.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» الجزء الحادي عشر: «فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع علىٰ ذلك- أي: الذين يجتمعون علىٰ

---

(١) «حاشية كتاب التوحيد» (ص ٥٥).

السماع قاصدين بهذا الاجتماع إصلاح قلوبهم، وتزكية نفوسهم- إما نشيد مُجرَّد -يعني: ليس معه آلات لهو- نظير الغبار، وإما بالتصفيق ونحو ذلك؛ فهو السماع المُحدَث في الإسلام؛ فإنه أُحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنىٰ عليهم النبي ﷺ، حيث قال: «**خير القرون القرن الذي بُعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1]، وقد كَرِهَهُ أعيانُ الأمة، ولم يحضره أكابرُ المشايخ»[2].

إلىٰ أن يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ضمن الكلام علىٰ السماع هذا.

«وبالجملة، فعلىٰ المؤمن أن يَعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئًا يُقرِّب إلىٰ الجنة إلا وقد حدَّث به، ولا شيئًا يُبعد عن النار إلا وقد حدَّث به، وأن هذا السماع لو كان مصلحةً لَشرعهُ الله ورسوله؛ فإن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]؛ وإذا وجد فيه منفعة لقلبه، ولم يجد شاهدَ ذَٰلِكَ لا من الكتاب ولا من السُّنَّة - لم يلتفت إليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) بلفظ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية، (١١/ ٥٩١)، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

قال سهل بن عبد الله التستري: «كل وَجْدٍ لا يشهد له الكتاب و السُّنَّة فهو باطل».

وقال الداراني: «إنه لتلمُّ بقلبي النكتة من نُكت القوم؛ فلا أَقْبَلُها إلا بشاهدين عدلين؛ الكتاب و السُّنَّة...». هذا كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١).

وفي قوله: «وإذا وجد فيه منفعة لقلبه، ولم يجد شاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السُّنَّة...»- أبلغ ردٍّ علىٰ من جَوَّز (التمثيل) للدعوة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأن فيه منفعة، ولأن القلوب تلين إذا استمعت إليه، وشاهدت مناظره.

فعلىٰ ذلك نقول: يجب أن تكون وسائل الدعوة توقيفية، لا يُشرع فيها إلا ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وصحابته الكرام.

☆☆☆

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٥٩٤، ٥٩٥).

الأصل الرابع

الاهتمام بعقيدة السلف علمًا وعملاً وتعليمًا

وإن مما يُؤسف له أننا أصبحنا نسمع في هذه الآونة الأخيرة كلامًا يُنَابِذ العقيدةَ، ويُبعدها عن ساحات الاهتمام؛ فمن الجماعات مَن يعتبر مسائل العقيدة مسائل جزئيات لا يُعتنىٰ بها، بل ومنهم من يقول: «ما الذي يُضيرنا إن أثبتنا لله يدًا، أو لم نُثبت؟!».

وهذه من المصائب والطَّامات، ومن المعلوم عند الجميع ما لعقيدة التوحيد من منزلة كُبرىٰ في الشرع.

فالخَلْق بأجمعه إنما خُلق لغاية عظمىٰ، ألا وهي عبودية الله تعالىٰ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُرسل الرسل، ولم يُنزل الكتب إلا لأجل

تحقيق التوحيد ودعوة الناس إليه؛ كما قال الله عز وجل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢]، وكما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وكما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وأول أمرٍ في القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١].

وأول ما تستفتح به الرسل دعوة أقوامهم قولهم -كما حكىٰ الله عز وجل عنهم-: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩].

والنبي صلى الله عليه وسلم مكث ثلاثًا وعشرين سنة يدعو إلىٰ الله، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، عشر سنين منها يُقرِّر التوحيد، ويدعو إليه، ويُحارب الشرك، ويُحذر منه، وباقي حياته صلى الله عليه وسلم في تثبيت عقيدة التوحيد وترسيخها، وفي بيان الأحكام الشرعية.

كلُّ هذا يدل دلالة واضحة علىٰ الاهتمام بأمور العقيدة؛ تعلمًا وتعليمًا، وعملًا، ودعوة.

وذلك لأن العقيدة إذا سَلِمَتْ من الشوائب فَصَاحِبُها من أهل الجنة لا محالة، ولو كان مرتكبًا للكبائر؛ فإن أصحاب الكبائر إلىٰ الله، إن شاء الله تعالىٰ عذَّبهم، ثم أدخلهم الجنة بتوحيدهم، وقبل ذلك بفضله وكرمه سبحانه، وإن شاء الله عز وجل عفىٰ عنهم؛ فهي -وايم الله- النجاة والعصمة.

ولا تكاد ترىٰ أحدًا سليم المعتقد إلا وأعمال البر وسائر الطاعات أخف عليه من حَمْل الريشة، ولذا كان الاهتمام بها والعمل علىٰ تصحيحها من أجلِّ الأمور وأعظم الأعمال.

وللتوحيد فضائل كثيرة لا تخفىٰ علىٰ طالب العلم، وعلىٰ الداعي إلىٰ الله سبحانه وتعالى؛ فمن فضائله:

أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنىٰ مثقال حَبَّة خردل.

ومنها: أنه إذا كَمُل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومنها: أيضًا: حصول الاهتداء الكامل والأمن الكامل في الدنيا والآخرة إن حقَّقه[1].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

ومنها: أن أسعد الناس بشفاعة المصطفىٰ ﷺ من قال: «لا إله إلا الله» خالصًا من قلبه[١].

ومنها: أن الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة مُتوقِّفة في قبولها وكمالها وفي كثير الثواب عليها- علىٰ التوحيد؛ فكلما قوي كمُلت هذه الأمور.

ومنها: أنه يُحرِّر العبد من رِقِّ المخلوقين والتعلُّق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي والشرف العالي... إلىٰ غير ذلك من الفوائد التي أشار إليها الشيخ ابن السعدي في حاشيته علىٰ «كتاب التوحيد»[٢].

فالواجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله سبحانه وتعالى أن يَعتنوا بأمر التوحيد، وأن يهتموا به، وإن مما يُؤلم القلب أن تَنبت نابتة تقول: لِمَ هذا الاهتمام بالتوحيد؟ ألا نهتم بأمور المسلمين

---

(١) أخرج البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألَّا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك علىٰ الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه».

(٢) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص ٢٣، ٢٤)، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.

وبشؤونهم؟ فالمسلمون يُقتلون يمينًا وشمالًا ونحن ندعو إلىٰ هَدْم القباب وإزالة المساجد التي بُنِيت علىٰ القبور، ونحو ذلك من المسائل!

وقائل هذا القول نَسِي أو تناسىٰ قولَ إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

فإذا كان الخليلُ إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده، وقال عنه عز وجل: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧]، وأمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يَتبعه في حنيفيته، وامتحنه الله سبحانه وتعالى بذبح ابنه فامتثل، ولبَّىٰ أمر الله عز وجل، وكَسر الأصنام بيده الشريفة، واشتد نكيره علىٰ أهل الشرك...مع هذه الفضائل وغيرها يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام وهو أعظم الشرك؛ فما بالك بما دونه؟

ولذلك يقول إبراهيم التيمي رحمه الله: «ومَنْ يأمن الشرك بعد إبراهيم عليه السلام»[(١)].

(١) أخرج ابن جرير في «تفسيره» (١٧/ ١٧) عن مغيرة قال: كان إبراهيم التيميُّ يقصُّ ويقول في قَصَصه: «مَن يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: ربِّ اجنبي وبني أن نعبد الأصنام».

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «قال موسىٰ: يا رب، علِّمني شيئًا أذكرُك وأَدْعُوك به، قال: يا موسىٰ، قل: لا إله إلا الله»[(١)].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب التوحيد» علىٰ هذا الحديث: «فيه: أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه علىٰ فضل «لا إله إلا الله»[(٢)].

فيجب علينا أن نهتمَّ بهذا الأمر، وأن نُوليه اهتمامًا كبيرًا؛ فإذا سَلِم هذا الأمر فما بعده أخف وأسهل، ويُضمن سلامة ما بعده من الأعمال، أما إذا كان هذا الأصل فاسدًا فلا انتفاع ولا صلاح ولا قبول.

☆☆☆

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ١٠٢) (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١٠) (١٩٣٦)، وتتمته: «قال: يا رب كل عبادك يقول هذا، قال: قل لا إله إلا الله، قال: إنما أريد شيئا تخصني به، قال: يا موسىٰ لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهم لا إله إلا الله»، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٩٢٣).

(٢) انظر «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» لابن العثيمين، (ص٧٨- ٨٧)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

الأصل الخامس

الاهتمام بالسنة النبوية، والحرص على العمل بها والدعوة إلى ذلك

إنَّ أحقَّ ما اعتنىٰ به المسلم: العمل علىٰ اقتفاء آثار نبيه ﷺ، وتجسيدها في حياته ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، وذلك لأن الغاية التي يسعىٰ المسلم لأجلها: إنما هي تحصيل الهداية التي تُوصله إلىٰ دار السعادة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، وهذه الآية أصلٌ كبيرٌ في التأسي برسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله، وجميع أحواله وحركاته وسكناته.

وهذه الأسوة إنما يَسلكها ويُوفَّق لها مَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر؛ فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه- يحثه علىٰ التأسي برسول الله ﷺ.

وشرفُ المؤمن ومنزلته إنما تُقاس باتباعه ﷺ، فكلما كان تحرِّيه للسنة أكثر، كان للدرجات العلىٰ أحق وأولىٰ.

ولذا كان السلف السابقون من التابعين -رحمة الله تعالىٰ عليهم- يجعلون المِعيار الذي يُؤخذ به عن الرجل العلم هو: تمسكه بالسُّنَّة، كما قال إبراهيم النخعي: «كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه العلم نظروا إلىٰ صلاته، وإلىٰ سُنَّته، وإلىٰ هيئته، ثم يأخذون عنه»[١].

ويقول أحد العلماء: إنَّ من علامات المُحبِّ لله عز وجل: متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه.

وهذا حقٌّ مأخوذ من كتاب الله عز وجل؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١].

قال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: «جعل الله علامة حبه إياهم اتباع سنة رسوله ﷺ»[٢].

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٣٩٧) (٤٣٤)، و(٤٣٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٧٠)، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

فلقد تواترت النصوص من الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة، والتابعين على ترغيب العمل بالسُّنَّة، والحث على التمسك بها.

ومن أشهر الأحاديث: حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ذَرَفت منها العيون، وَوَجِلَت منها القلوبُ، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مُودِّع فأوصنا! قال: «**تركتُكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يَزيغ عنها بعدي إلا هالكٌ، ومَن يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهديين مِن بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ**»[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي**»، أي: بطريقتي التي أنا عليها مما فصَّلت لكم من الأحكام؛ سواء كانت اعتقادية، أو عملية؛ واجبة أو مندوبة.

وأمَّا تخصيص الأصوليين بالسُّنَّة بأنها: «المطلوب طلبًا غير جازم»- فهذا اصطلاح طارئ، إنما قُصِد به التمييزُ بينها وبين الفرض أو الواجب.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤٣).

فالسنة بلسان الشارع إذا أطلقت: يُراد بها الطريقة الشرعية التي كان عليها النبي ﷺ في عباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، وحركاته وسكناته.

يقول عروة بن الزُّبير رحمه الله: «السُّنَنَ، السُّنَنَ؛ فإن السنن قِوَامُ الدِّين»[١].

أي: الزموا السنن؛ فإن السنن قِوام الدين.

وكان ابنُ عمر رضي الله عنه يتبع أمرَ رسول الله ﷺ وآثاره وحاله، ويَهتم به حتىٰ إنه خيف علىٰ عقله من اهتمامه بذلك. كما أخرجه أبو نعيم وغيره[٢].

ويقول الزُّهْرِيُّ رحمه الله: «كان مَنْ مضىٰ مِنْ علمائنا يقول: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة»[٣].

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي، في «السنة» (ص ٣٤)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

(٢) أخرج أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٠)، عن نافع قال: «لو نظرت إلىٰ ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنه إذا اتبع أثر النبي ﷺ لقلت: هذا مجنون»، وعن عاصم الأحول عمن حدثه قال: «كان ابن عمر إذا رآه أحدٌ ظنَّ أن به شيئًا من تتبعه آثار النبي ﷺ».

(٣) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٢٣٠) (٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩).

وللاهتمام بالسُنة فوائد كثيرة لا تحصى، منها: تحصيل المُلتزم بها درجة المحبوبية التي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيها كما في الحديث القدسي: «ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه؛ فإذا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ورِجْلَه التي يمشي بها، ويدَه التي يبطشُ بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه»[1].

ومن فوائد التمسك بالسنة: أنها تُجبر الفرائض؛ لقول النبي ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يُحاسب الناسُ به يوم القيامة من أعمالهم الصلاةُ، فيقول اللهُ لملائكته: انظروا لصلاة عبدي أَتَمَّها أم نَقَصَها؟ فإنْ كانت تامَّة كُتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال الله: انظروا هل لعبدي مِن تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أَتِمُّوا لعبدي فريضته مِنْ تَطَوُّعِه»[2].

ومنها: أنَّ للمُتمسك بالسُّنَّة في آخر الزمان أجرًا كبيرًا؛ لحديث عُتبة بن غَزْوان أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ مِن ورائكم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٨٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

أيام الصَّبر، للمُتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أَجْرُ خمسين منكم»، قال: يا نبيَّ الله، أوْ منهم! قال: «بل مِنكم»(١).

وقد كان السلف رَحِمَهُمُ اللهُ يُشددون في ترك بعض السنن، أو يَلومون تاركها مطلقًا؛ لأنه قد يتناوله عموم قوله ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتي فليس مِنِّي»(٢).

فلذلك قال الإمام أحمدُ: «مَن ترك الوتر فهو رجلُ سُوء، لا ينبغي أن تُقبل له شهادة»(٣).

فكلُّ ما ثَبَتَ من سُنَّة الرسول ﷺ نَسْعى سعيًا شديدًا لتطبيقه، وتعليمه للناس؛ لعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يَهَبنَا أَجْرَ مَن أَحيا السُّنَن.

☆☆☆

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر «الروض المربع» للبهوتي، (ص ٨٤)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

الأصل السادس

الارتباط الوثيق بعلماء السنة

لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ فَضْلَ العلماء والمكانة التي يَتبوءونها في الشريعة الإسلامية.

ولكن بعضُ الناس يَخلط بين الحثِّ علىٰ الارتباط بالعلماء وبين التعصب لهم وتقليدهم، وهذا خطأٌ كبير.

فالارتباط بالعلماء، يعني: أخذ العلم عنهم، والاستفادة منهم بالتوجيه والإرشاد، ونحو ذلك، كما أنه يعني أيضًا تقليدهم مِمَّن يَسوغ له التقليد من العامَّة، ومَنْ ليس مُؤَهَّلًا لتمييز القرار في القضايا العلمية.

وهذا الارتباط بعلماء السلف سبق أن قرَّرناه وأوضحناه وبيَّنَّا فوائده، وبيَّنَّا الأضرار التي تترتب عندما يَتخلَّىٰ الناسُ عنه.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في مَعْرض بيان نِعَم الله علىٰ هذه البلاد: «فنقَّىٰ لكم دينكم من البدع والإشراك، وسلَّمكم من وسائل الشرك وطرق الغي والهلاك

بوسائل وأسباب يسَّرها سبحانه؛ حيث أقام لكم كلَّ إمام قد استقام على الصراط المستقيم؛ فكان إمامُكم الإمام أحمد بن حنبل أكبرَ إمام نَقَلَ السُّنَّة والكتاب، وبه وبأصحابه وبأتباعه ونظرائه يُعرف السنيُّ من البِدعيِّ من سائر الطوائف والأحزاب، حتىٰ أقام اللهُ شيخَ الإسلام والمسلمين أحمد بن تيمية؛ فجَاهَدَ الكفار والمنافقين وسائر المُلحدين، وأظهر من صريح السُّنَّة وأعلامها وعلومها ما عَجَزت عنه مداركُ الأولين والآخرين، وسلك طريقتَه تلامذتُه وأتباعُه من العلماء المُحقِّقين حتىٰ جاءت النوبة بشيخ الجزيرة وإمامها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ فقام بهذا الأمر أتمَّ القيام، فلم يَزَل في جهاد مع الأعداء حتىٰ نشر التوحيد الخالص والسُّنَّة المَحْضة بين العباد، وقَمَعَ الشرك ووسائله والبدع والفساد، فخَلصت الجزيرةُ -ولله الحمد- وانصبغت بالسُّنَّة والتوحيد، فسلمت بمساعيه المشكورة ومساعي تلاميذه وأحفاده وأنصاره من الشرك؛ فلن تجد فيها -ولله الحمد- قبةً علىٰ قبر، ولا مَشْهدًا، ولا توسلًا بالمخلوقين، ولا مَوْلِدًا ولا مَعْبدًا؛ أَوَلَيْسَ مِن أكبر نِعَم الله عليكم وأجلِّ إحسان الله إليكم أن قيَّض لكم هؤلاء السادة الغُرَرَ الذين حفظ اللهُ بهم الدين الصحيح، وتحقق وانتشر حتىٰ نشأتم وآباؤكم وأولادكم

تَشربون من معين الشريعة أصفىٰ شَرَاب، وتَغترفون مِن زُلالها أحسن اغتراف، لم تُدركوا هذا بوسيلة منكم، ولا قوة علمٍ ولا ذكاء، وإنَّما ذلك فضلُ الله الذي ليس له غاية ولا انتهاء، بينما ترون الأقطار الأخرىٰ مَحْشُوةً بالشرك والكفر والإلحاد الصراح، مملوءةً بالبدع وبناء المَشاهد علىٰ القبور، والأخلاق القِباح؛ فاحمدوا ربّكم علىٰ هذه النعم التي لا تستطيعون لها عَدًّا ولا شُكورًا».

فلو أننا ارتبطنا بهذه الحلقة المباركة (شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام أحمد، رحمة الله عليهم أجمعين) ارتباطًا تامًّا - وقانا الله ﷻ الوقوع في البدع، والانجراف وراء التيارات المُبطلة المُضلة التي ترتدي ثياب السُّنَّة، والسُّنَّة بريئةٌ منها كل البراءة.

وما دخل علينا هذا النقص إلا يومَ أَنْ تركنا هذا المنهج، وضربنا عنه صفحًا، واستغنينا عنه بمناهج استقدمها لنا أُناس من مصر والهند ومن غيرها، وهي مناهج بعيدة كل البعد عن منهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

☆☆☆

الأصل السابع

الابتعاد عن الحزبيات والجماعات الإسلامية السرية

نحن نشاهد ونرىٰ جماعاتٍ تنشقُّ عن جماعة المسلمين الشرعية بما لديها من أفكارٍ وأنظمةٍ، وكل هذه الجماعات تجتمع علىٰ هدف واحد، وهو كراهة المجتمع المسلم الشرعي، والنظر إليه علىٰ أنه مجتمع جاهلي.

وحتىٰ يكون الحكم دقيقًا فهم في الأغلب يرون هذه النظرة، ويعتقدون هذه العقيدة.

ومن هذه الجماعات: جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وحزب التحرير.

أقول وللأسف: يُوجد مَنْ جعل السلفية حزبًا كهذه الأحزاب، ويوجد مَنْ يسعىٰ إلىٰ جعل السلفية كهذه الأحزاب؛ فنحن نبرأُ إلىٰ الله ﷻ من هذا الصنيع، ونعوذ بالله من شرِّ هذا الفاعل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأمَّا الانتساب الذي يُفرِّق بين المسلمين وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلىٰ الفُرقة وسلوك طريق الابتداع، ومفارقة السُّنَّة والاتباع؛ فهذا مما يُنهىٰ عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله ﷺ»(١).

والله عَزَّوَجَلَّ سمَّانا في كتابه المسلمين، وثبت في «مسند الإمام أحمد» أن النبي ﷺ قال: «**مَن دعا دعوىٰ الجاهلية فهو جُثاء جهنم**». قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلىٰ! قال: «**نَعَم، وإن صام وصلَّىٰ، ولكن تَسَمَّوْا باسم الله الذي سمَّاكم عبادَ الله المسلمين المؤمنين**»(٢).

وهذه التسميةُ كانت في صدر الإسلام، ولا يُعرف الانتساب إلا إلىٰ الإسلام آنذاك؛ فلما أتت البدع، وانتشرت الأهواء، وابتعد كلُّ صاحب بدعة عن الإسلام؛ لم يجد

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٥١٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٧/ ٥٤٣) (٢٢٩١٠) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٤).

سلفنا الصالح بُدًّا من إظهار ألقابهم الشرعية التي تميَّزوا بها عمن سواهم من المُضلين؛ فتسموا بالأسماء الواردة في النصوص؛ كالجماعة، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

كما تَسموا أيضًا بما التزموا به من العمل بالسُّنَّة التي نبذها غيرهم؛ كالسلف، وأهل الحديث، وأهل الأثر، وأهل السُّنَّة والجماعة.

وإنما آثروا هذه الألقاب، وتسموا بها لعللٍ كثيرة، ذكر بعضَها فضيلةُ الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العظيم النفيس: «حكم الانتماء إلىٰ الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية».

ومن ذلك: أن هذه النِّسَب لم تنفصل عن الأمة الإسلامية منذ تكونها علىٰ منهاج النبوة.

ومنها: أن هذه النسب تحوي كل الإسلام.

ومنها: أنها ألقاب.

ومنها: ما هو ثابت بالسُّنَّة الصحيحة.

ومنها: ما لم يَبرز إلا في مواجهة أهل الأهواء في رَد بدعهم وضلالاتهم للتميز عنهم.

فنجد أن البدعة لما ظهرت تَمَيَّز أهلُ الحق بالسُّنَّة، فقالوا: نحن أهل السُّنَّة.

ولما حُكِّم الرأي تميزوا بالحديث وبالأثر، فقالوا: نحن أهل الحديث والأثر.

ومن ذلك: أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ.

ومنها: أن هذه الألقاب لا تُفضي إلىٰ البدعة، ولا إلىٰ معصية، ولا إلىٰ عصبية لشخص، ولا إلىٰ عصبية لطائفة.

ومنها: أن عَقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم إنما هو علىٰ الإسلام لا غير[١].

إذا عُلِم هذا فقد تقرَّر فيما عُلِم من الإسلام بالضرورة أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمام إلا بسمعٍ وطاعة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة»[٢].

---

(١) انظر «حكم الانتماء إلىٰ الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (٣١- ٣٣).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٣١٥) (٢٥٧).

يقول الشيخ العلَّامة بكر أبو زيد في كتابه الآنف الذكر: «هذا هو المفهوم الشرعي لجماعة المسلمين؛ مُتآخون علىٰ منهاج النبوة (الكتاب والسُّنَّة)، ينتظمهم إمامٌ ذو شوكة ومَنَعة.

وهذه هي الروابط العامة بين المسلمين لوحدتهم وتماسك جماعتهم، وبقدر التفريط يحصل الاختلاف والاضطراب؛ فإذا انخزل فردٌ من المسلمين أو انخزلت فرقة عنهم- فهذا انشقاق علىٰ المسلمين وتفريق لجماعتهم، وهو -في طبيعة حاله- انخزال عن كل الإسلام علىٰ منهاج النبوة»[1].

وهذه الجماعات الإسلامية التي قامت علىٰ الأسس البعيدة عن الكتاب والسُّنَّة هي في الحقيقة انشقاق عن المسلمين، وشرها وضررها أعظم بكثير من خيرها؛ فهي لمَّا اختارت طريقًا لا يَنتمي إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، ولا يَنهل من سلف هذه الأمة- دخل عليها النقصُ من هذا الباب.

فالحذرَ الحذرَ من هذه الجماعات المشبوهة.

فلا تكونوا -أيها الشباب- ضحية أمثالها؛ فوالله ما حَلَّت في بلد ونفثت فيه سمومها إلا ساد فيه التفرق والاختلاف،

---

(١) «حكم الانتماء إلىٰ الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» (ص ٤٦).

وبرزت الشحناء والبغضاء بين أبنائه، وإذا أردت دليلًا علىٰ ذلك؛ فقارن بين حالنا يوم أن كنَّا علىٰ منهج الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وبين حالنا الآن؛ فلقد فرَّقت هذه الجماعات بين العلماء والشباب، وجعلت بينهم برزخًا.

وكنا فيما قبلُ نثق بعلمائنا ثقة كبيرة -ولله الحمد والمِنَّة- ونأخذ عنهم، وكان الأثر في هذه الحالة متميزًا عن الأثر في الحالة التي أشرت إليها قبل قليل، ففي هذه الحالة كنا علىٰ خير وعلىٰ هدىً.

أما الآن فنحن في ثورة وفي اضطراب ونحو ذلك.

وهذه الجماعات أيضًا أفسدت عقائد بعض شبابنا، ولوَّثت المنهج عندهم، وأقنعتهم في أن يجعلوا الولاء والبراء لها فقط.

وما من شكٍّ أن بعض هذه الجماعات سوف تستغلُّ أتباعها المُغرَّر بهم للقيام بثورة، أو الدخول في فتنة، فلا تكن حادثة الحرم عن نظرك -أيها الشاب- ببعيدة.

دفع اللهُ عن المسلمين كل مكروه، وحَمَانا من كل بلية.

☆☆☆

الأصل الثامن

التزامنا بما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة في معاملة أئمتنا وحكامنا

نحن نسمع ونطيع لوُلاة أمرنا في غير معصية(١).

ولا نرى الخروج على الحاكم المسلم مهما كثرت معاصيه، ولا ندخل في شيء من أمور دنياهم، وننصحهم حسب الطريقة الشرعية بصدق وإخلاص، وقول النصيحة سرًّا لا سيما في زمن الفتن.

وندعو الله سبحانه وتعالى لهم بالصلاح والفلاح في سرنا وعلانيتنا؛ لأن صلاحهم صلاح للعباد والبلاد.

---

(١) وللشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله ثلاثة كتب فريدة في هذه المسألة، هي: «معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة». و«عقيدة أهل الإسلام فيما يجب للإمام»، و«الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم».

ونكره الدخول عليهم إلا لناصح أو مُتظلِّم.

ونرىٰ الجهاد معهم.

وننكر علىٰ من سَبَّهم أو شَهَّر بهم؛ لما في ذلك من إثارة الرعايا عليهم مما قد يؤدي إلىٰ أحد أمرين: الخروج عليهم، أو معصية الأوامر الشرعية.

وهنا أنقل كلامًا لأئمة الدعوة - رحمة الله تعالىٰ عليهم- في الدرر السنية (٧ / ١٧٧، ١٧٨) يقول الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليهم أجمعين، وجزاهم الله تعالىٰ عن الإسلام والسُّنَّة خير الجزاء- في رسالة له وجَّهها إلىٰ أحد إخوانه الذين لم تتضح لهم المواقف الصحيحة في زمن الفتنة (فتنة أبناء فيصل رحمة الله تعالىٰ عليه وعليهم) قال: «ثم هنا مسألة أخرىٰ وداهية كبرىٰ دَهَا بها الشيطان كثيرًا من الناس، فصاروا يسعون فيما يُفرِّق جماعة المسلمين، ويُوجب الاختلاف في الدِّين، وما ذمَّه الكتاب المبين، ويُفضي للإخلاد إلىٰ الأرض، وترك الجهاد، ونصرة رب العالمين، ويُفضي إلىٰ منع الزكاة، وتأجيج نار الفتنة والضلالات؛

فتلطف الشيطان في إدخال هذه المكيدة، ونصب لها حُججًا ومُقدمات، وأوهمهم أن طاعة بعض المتغلبين -أي: من الحكام- فيما أمر الله ورسوله من واجبات الإمام، وفيما فيه دفع عن الإسلام، وحماية لحوزته- لا تجب -والحالة هذه- ولا تُشرع».

فملخص المكيدة: أن طاعة بعض المتغلبين لا تجب والحالة هذه -أي: حالة الفتن- ولا تُشرع.

ثم يقول الشيخ لردِّ هذه المكيدة: «ولم يَدْر هؤلاء المفتونون أن أكثر ولاة أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية حاشا عمر بن عبد العزيز -ومن شاء الله من بني أمية- قد وقع منهم ما وقع من الجراءة والحوادث العظام، والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا يَنزعون يدًا من طاعة فيما أمر الله به ورسوله من شرائع الإسلام وواجبات الدين».

ثم ضرب لذلك أمثلة، فقال: «وأضرب لك مثلًا للحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اشتهر أمرُه في الأمة بالظلم

والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمات الله، وقتل مَن قتل مِن سادات الأمة؛ كسعيد بن جبير، وحاصر ابنَ الزبير وقد عاذ بالحرم الشريف، واستباح الحُرمة، وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة وبايعه عامةُ أهل مكة والمدينة واليمن وأكثر سواد العراق، والحجاج نائب عن مروان، ثم عن ولده عبد الملك، ولم يَعهد أحدٌ من الخلفاء إلىٰ مروان، ولم يبايعه أهل الحَلِّ والعَقْد، ومع ذلك لم يتوقَّف أحدٌ من أهل العلم في طاعته والانقياد له فيما تَسُوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته.

وكان ابنُ عمر ومَن أدرك الحجَّاجَ مِن أصحاب رسول الله ﷺ لا يُنازعونه، ولا يَمتنعون من طاعته فيما يقوم به الإسلام ويَكمل به الإيمان، وكذلك مَنْ في زمنه من التابعين؛ كابن المسيب، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم التيمي، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأمة.

واستمرَّ العملُ علىٰ هذا بين علماء الأمة من سادات الأمة وأئمتها؛ يأمرون بطاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله مع كل إمام بَرٍّ أو فاجر، كما هو معروف في كتب أصول الدين والعقائد.

وكذلك بنو العباس استولوا علىٰ بلاد المسلمين قهرًا بالسيف، فلم يساعدهم أحدٌ من أهل العلم والدين، وقتلوا خلقًا كثيرًا، وجمًّا غفيرًا من بني أمية وأمرائهم ونوابهم، وقتلوا ابن هبيرة أمير العراق، وقتلوا الخليفة مروان حتىٰ نُقِل أن السفَّاح قتلَ في يوم واحد نحو الثمانين من بني أمية؛ فوَضَعَ الفُرُشَ علىٰ جُثثهم وجَلَس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب.

ومع ذلك فسيرة الأئمة؛ كالأوزاعي، ومالك، والزهري، والليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح مع هؤلاء الملوك لا تخفىٰ علىٰ مَنْ له مشاركة في العلم والاطلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم؛ كأحمد بن حنبل، ومحمد ابن إسماعيل، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن نصر، وإسحاق بن راهويه وإخوانهم- وَقَع في عصرهم مِن الملوك ما وقع مِن البدع العِظام، وإنكار الصفات، ودُعوا إلىٰ ذلك وامتحنوا فيه، وقُتِل من قتل؛ كأحمد بن نصر، ومع ذلك فلا يُعلم أن أحدًا منهم نَزَع يدًا من طاعة، ولا رأىٰ الخروج عليهم».

إلىٰ أن يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا المخاطب: «فَإن حَاكَ في صدرك شيءٌ فأكثر من التضرع إلىٰ الله والتوسل بالأدعية المأثورة، وكرِّر النظر فيما اشتمل عليه تاريخ ابن غنام من كلام شيخ الإسلام -يعني: محمد بن عبد الوهاب- فقد بسط القول في هذه المسألة في رسائله واستنباطاته»(١).

☆☆☆

(١) راجع «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٨/ ٣٧٧- ٣٨٠) باختصار يسير، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

الأصل التاسع

منابذة أهل البدع والتحذير منهم

أجمع السلف علىٰ مُنابذة أهل البدع والتحذير منهم، كما حكاه عنهم القاضي أبو يعلىٰ وغيره من المُحققين.

ومما يَجدر التنبيه عليه في هذه القضية: أن أهل البدع في زماننا هذا يتسترون بلباس السُّنَّة، ويَختفون خلف اسمها، بينما هم غارقون في البدع، يعرف ذلك كل مَنْ نظر إليهم عن قربٍ، واطلع علىٰ ما يَتسارُّون به من حِزبيَّات، وتنظيمات، ومحاولة خروج علىٰ الحاكم المسلم، ونكْثٍ للبيعة، ونحو ذلك.

وهذا الدأب من أهل البدع في هذا الزمان هو دأب أهل البدع قديمًا، وبهذا العمل تَروج بدعُهم، وتَثبت في القلوب، وقد روىٰ ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة» بسنده عن مفضل بن مهلهل، وهو أحد الثقات العُبَّاد أصحاب السُّنَّة، أنه قال: «لو

كان صاحبُ البدعة إذا جلستَ إليه يُحدِّثك ببدعته حذَرْتَه وفَرَرت منه، ولكنه يحدِّثُك بأحاديث السُّنَّة في بُدُوِّ مَجْلسه، ثم يُدخِل عليك بدعته، فلعلها تَلزم قلبك، فمتىٰ تخرج من قلبك؟!»[١].

ولهذه العلة الملحوظة وهي دخول البدع في القلب وخشية عُلوقها به- كان السلف -رحمة الله تعالىٰ عليهم- لا يستمعون للمبتدع كلامًا، ويحرصون كل الحرص علىٰ الابتعاد عن المواطن التي يتكلم فيها أهلُ البدع.

فقد روىٰ ابن بطة في «الإبانة» أيضًا بسنده عن معمر قال: «كان ابن طاوس جالسًا؛ فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم، قال: فأدخل ابن طاوس أصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: أي بني، أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد، ولا تسمع من كلامه شيئًا، قال معمر: يعني أن القلب ضعيف»[٢].

وقد روىٰ ابنُ بطة أيضًا في كتابه المشار إليه سابقًا آثارًا

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٤٤)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٤٦).

من هذا القبيل فيما أخرجه عن عبد الرزاق، فقال عن نفسه: «قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيىٰ، وهو أحد المعتزلة: أرىٰ المعتزلة عندكم كثيرًا، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم. قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتىٰ أكلمك، قال: قلت: لا. قال: لِمَ؟ قلت: لأن القلب ضعيف، والدين ليس لمن غلب»[١].

وأخرج ابن بطة أيضًا بسنده عن سعيد بن عامر، قال: «حدثنا سلَّام بن أبي مطيع أن رجلًا من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة. قال أيوب: وجعل يُشير بأصبعه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة»[٢].

فهكذا كان السلف -رحمة الله تعالىٰ عليهم أجمعين- يعزفون عن الاستماع إلىٰ المبتدعة، بل ويحذرون من ذلك؛ لئلَّا يلج في القلب شيءٌ من بدعهم فتحصل عندئذ الهلكة؛ فكيف بالله يكون قولهم فيمن يجالس المبتدع ويحضر دروسه؟!

فلا شكَّ أن كلامهم في هذا سوف يكون أشد وأقوىٰ،

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٤٦).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٤٧).

ولذا لما قَدِم سفيانُ الثوري البصرة- جعل ينظر إلىٰ أمرِ الربيع بن صبيح، وقَدْرِه عند الناس؛ فسأل عن مذهبه، فقالوا له: ما مذهبه إلا السُّنَّة -أي: ليس نعرف من مذهبه إلا السُّنَّة- فقال: مَن بطانتُه؟ قالوا: أهل القدر. قال: هو قدري.

يقول ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة» تعليقًا علىٰ قول سفيان هذا: «رحمة الله علىٰ سفيان الثوري لقد نطق بالحكمة فصدق، وقال بالعلم فوافق الكتاب والسُّنَّة، وما تُوجبه الحكمة ويدركه العَيَان، ويعرفه أهل البصيرة والبيان؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [آل عمران:١١٨]»(١).

ويقول الفضيلُ بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأرواح جنودٌ مُجنَّدة؛ فما تَعارف منها ائتلف، وما تَناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحبُ سُنَّة يُمَالِئ صاحبَ بدعة إلا من النِّفاق».

قال ابن بَطَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقًا علىٰ ذلك: «صدق الفضيلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنَّا نرىٰ ذلك عيانًا»(٢).

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٦).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٩).

فلقد بلغ من تحذير السلف -رحمة الله تعالىٰ عليهم- من المبتدعة أن أحمد بن سِنان قال: «لِئن يُجاوِرَني صاحبُ طُنْبُور[١] أحبُّ إليَّ مِن أن يُجاورني صاحبُ بدعة؛ لأن صاحبَ الطُّنبور أنهاه وأَكْسر الطنبور، والمبتدع يُفسد الناس والجيران والأَحْداث»[٢].

يقول ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا علىٰ هذا الموضوع، يقول: «اللهَ اللهَ، معشر المسلمين، لا يَحملن أحدًا منكم حسنُ ظنِّه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه علىٰ المُخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء؛ فيقول: أُدَاخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم -أي: المبتدعة- أشدُّ فتنة من الدَّجَّال، وكلامهم ألصق من الجَرَب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعةً من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم؛ فجالسوهم علىٰ سبيل الإنكار والرد عليهم- فما زالت بهم المُبَاسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتىٰ صَبَوْا إليهم»[٣].

---

(١) أي: صاحب طَبْل، [عبد السلام بن برجس].

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٦٩).

(٣) «الإبانة» (٢/ ٤٧٠).

فلقد شاهدنا أولئك في زماننا هذا يقولون: نحن نجالسُ هؤلاء المبتدعة لأجل مناصحتهم، ولأجل الاطلاع علىٰ مناهجهم السرية التي يُخفونها حتىٰ نحذر منها فيما بعد، ثم بعد ذلك يقعون في حبائلهم، ويصيرون عونًا لهم علىٰ أهل السُّنَّة، عافانا الله وإياكم من ذلك.

فهذا هو ما قرَّره السلف.

وعليه، فالواجب علىٰ مَنْ خاف علىٰ نفسه الفساد والضلال أن يَلزم هذا المنهج وأن يسلكه؛ فوالله إن القوم عن علم نكصوا، وعن علمٍ وقفوا.

يقول الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» في ترجمة أحمد بن عون الله، وهو أحد علماء السُّنَّة، ناقلًا عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج: «كان أبو جعفر أحمد بن عون الله مُحتسبًا علىٰ أهل البدع، غليظًا عليهم، مُذِلًّا لهم، طالبًا لمساوئهم، مسارعًا في مضارهم، شديد الوطاءة عليهم، مُشردًا لهم إذا تمكن منهم، غير مُبق عليهم، وكان كل من كان منهم خائفًا منه علىٰ نفسه مُتوقيًا، لا يُداهن أحدًا منهم علىٰ حال، ولا يُسالمه وإن عثر لأحد منهم علىٰ مُنكر وشهد عليه عنده

بانحراف عن السُّنَّة نابذه وفضحه، وأعلن بِذِكْره والبراءة منه، وعيَّره بذكر السوء في المَحَافل، وأغرىٰ به حتىٰ يُهلكه أو ينزع عن قبيح مذهبه وسوء معتقده، ولم يَزل دؤوبًا علىٰ هذا جاهدًا فيه؛ ابتغاء وجه الله إلىٰ أن لقي الله عز وجل - له في المُلحدين آثارٌ مشهورةٌ ووقائعُ مَذكورةٌ»[1].

❊❊❊

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ١١٨).

الأصل العاشر

التزامنا بالكتاب والسنة في كل شؤوننا وأحوالنا

التزامنا بالكتاب والسُّنَّة في كل شؤوننا وأحوالنا هو أصل الأصول والحاكم عليها؛ وذلك وقوفًا عند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥١-٥٤].

والآيات في الحثِّ علىٰ الكتاب والسُّنَّة، والأمر بالتمسك بهما كثيرةٌ جدًّا.

والأحاديث عن رسول الله ﷺ كذلك.

ومنها: ما ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال في حَجَّة الوداع (أكبر جمع للمسلمين): «**وقد تركتُ فيكم ما لن تَضلُّوا بعده إنِ اعتصمتم به: كتابُ الله**»[(١)].

وثبت أيضًا كما في «مستدرك الحاكم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا إذا تمسكتم بهما: كتاب الله وسُنَّتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ**»[(٢)].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]: «تَضَمَّنَ اللهُ عز وجل لِمَن قرأ القرآنَ واتَّبَعَ ما فيه ألا يَضِل في الدنيا، ولا يَشقىٰ في الآخرة»[(٣)].

فالالتزامُ بالكتاب والسُّنَّة أمرٌ واجبٌ، ويجب علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢) (٣١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٤٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩).

الدُّعاة إلىٰ الله ﷻ أن يَعتنوا به عناية عظيمة، وأن يجعلوها نصب أعينهم؛ فمن الدعاة -وللأسف- من يُقدِّم هواه ورأيه علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كان يُسمِّي هذا الهوىٰ أو هذا الرأي مُسمىً آخر ليبرر به هذه المخالفة- فإن هذه التسمية لا تُسمن ولا تُغني من جوع، ولا تنفع شيئًا عند الله ﷻ؛ لأن الأسماء لا تُغيِّر حقيقة المسميات.

فالذين يجعلون مصلحة الدعوة مُعارضة للكتاب والسُّنَّة- فيقدمونها علىٰ نصوص الكتاب والسُّنَّة، هؤلاء قد ضلوا سواء السبيل.

ومما يجعلونه أنَّ مَنْ ناوأهم وعاداهم وكَشَفَ ما يَنطوون عليه من الباطل يُجوزون الافتراء عليه، وإلصاق التهم به؛ لأن ذلك في نظرهم مصلحة للدعوة، ولا يعتبرون بقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

لا يعتبرون بهذه الآية؛ لأن مصلحة الدعوة عندهم مُقدَّمة.

فهذا خطأ محضٌ، وضلال مبين يجب علىٰ مَنْ تلبَّس به أن يَتوب إلىٰ الله ﷻ، وأن يرجع إليه؛ فإن الذي هو عليه

ضلال مبين وجُرم شنيع، وهو الذي قد حذَّر منه السلف، وهو في الحقيقة امتدادٌ لأهل الرأي الذين نابذهم السلف، ودارت بينهم وبين السلف معارك طاحنة حتىٰ نصر الله تعالىٰ أهل السُّنَّة عليهم، ودحض باطلهم، وله الحمد والفضل والمنة.

ومما ينبغي أن يُعلم أن عدم تحكيم الكتاب والسُّنَّة في كل الشؤون والأحوال يَنجم عنه من الأضرار والمفاسد الشيء الكثير.

وقد عدَّد الإمامُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض هذه المفاسد، وبعض هذه الآثار المدمرة- فأحسنَ، أحسنَ الله إليه، إذ يقول في كتابه «الفوائد»: «لما أعرضَ الناس عن تحكيم الكتاب والسُّنَّة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلىٰ الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ- عرض لهم من ذلك فسادٌ في فِطَرِهم، وظُلمة في قلوبهم، وكَدَرٌ في أفهامهم، ومَحْقٌ في عقولهم، وعمَّتهم هذه الأمور، وغَلَبَتْ عليهم حتىٰ رُبِّي فيها الصغير، وهَرم عليها الكبير، فلم يروها منكرة، فجاءتهم دولة أخرىٰ قامت فيها

البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوىٰ مقام الرشد، والضلال مقام الهدىٰ، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل؛ فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور[١] وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها، وكان أهلها هم المشار إليهم، فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت، وراياتها قد نُصبت، وجيوشها قد رَكبت؛ فبطن الأرض -والله- خيرٌ من ظهرها، وقُلل الجبال خيرٌ من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس»[٢].

فالواجبُ علىٰ الدُّعاة إلىٰ الله ﷻ أن يَلتزموا الكتاب والسُّنَّة في جميع أحوالهم؛ لأن في الالتزام بالكتاب والسُّنَّة خيرًا عظيمًا في الدين والدنيا.

---

(١) يشير إلىٰ الأمور السيئة التي تنجم عن عدم تحكيم الكتاب والسنة في جميع الأحوال. [عبد السلام بن برجس].

(٢) «الفوائد»، لابن القيم (ص ٤٨، ٤٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

ولذلك فإن الصحابة رضي الله عنهم لما أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] شقّ ذلك عليهم وجاؤوا إلىٰ رسول الله ﷺ؛ وقالوا: يا رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق (الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة)، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكِتابين مِن قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا، وإليك المصير**»؛ فلما قال ذلك الصحابة رضي الله عنهم خفَّفَ اللهُ عز وجل عنهم، وأنزل قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦](١).

فمن حَكَّم الكتابَ والسُّنَّةَ جعل الله عز وجل له مِن كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ومن كل ضِيق مَخْرَجًا.

ومما ينبغي أن يَشعر به أولئك الذين يُنكرون علىٰ الحكام تحكيمهم القوانين الوضعية أنَّهم هم أيضًا يُحَكِّمون غيرَ شرع الله سبحانه وتعالى في معاملتهم وفي تصرفاتهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لا أقول: إنهم يُحكِّمون غيرَ شرع الله عَزَّوَجَلَّ في جميع أمورهم، ولكن لا أبالغ إن قلتُ: في كثير من أمورهم.

فليتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسهم، وليُحاسِبوا أنفسهم قبل أن يُحَاسَبوا.

وبالله التوفيق، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

☆☆☆



الفهرس

☆☆☆